

## الوفاء بالعهد

الوفاء بالعهد خلق قرأني، دعا القرآن إليه، واستمسك الرسول ﷺ به

﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ ﴾ <sup>(١)</sup>، ﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ

مَسْئُولًا ﴾ <sup>(٢)</sup>

إن لله مع عباده عهداً يجب الوفاء بكل واحد منها ﴿ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا <sup>ع</sup>

ذَلِكَمْ وَصَدِّكُمْ بِهِمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ <sup>(٣)</sup>، ﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ

يَبْنَىءَ آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ <sup>(٤)</sup> وَأَنْ

أَعْبُدُونِي <sup>ع</sup> هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴾ <sup>(٥)</sup>

كما أخذ العهد عليهم أن يعملوا بشرائعه وأحكامه، وأن يقوموا بما تعاقدوا

عليه من ارتباطات والتزامات على أساس من أحكام الله وشرعه ﴿ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ

ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾ <sup>(٥)</sup>

ويبين الرسول ﷺ أن خُلف الوعد، وغدر العهد من خصال المنافقين، فعن أبي

هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد

(١) النحل: من الآية ٩١.

(٢) الإسراء: من الآية ٣٤.

(٣) الأنعام: من الآية ١٥٢.

(٤) يس: ٦٠، ٦١.

(٥) المائدة: من الآية ١.

أَخْلَفَ، وَإِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ» (١)

زاد في رواية مسلم: « وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى وَرَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ » (٢)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: « أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خِصْلَةٌ مِنَ النَّفَاقِ حَتَّى يَدْعَهَا: إِذَا أَوْثَمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبًا، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ » (٣)

إن الغدر بالعهد لا يكون إلا حيث تتعلق النفس بالمنافع الزائلة وتنسى لقاء ربها وعاقبة سعيها.

ولذا فإنَّ الغادر أهلٌ لِمَقْتِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ وَلَا نَصِيبَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤)

وفي الصحيحين عن ابن عمر - رضي الله عنهما - عن النبي ﷺ قال: « لِكُلِّ غَادِرٍ لَوْاءٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُعْرَفُ بِهِ » (٥)

وانظر ماذا كان جزاء من عاهد ثم غدر ﴿ وَمِنْهُمْ مَن عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ ءَاتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا ءَاتَيْنَاهُمْ مِنْ

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه مسلم.

(٣) متفق عليه.

(٤) آل عمران : ٧٧.

(٥) رواه البخاري.

فَضْلِهِ يَحِلُّوْا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوْبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوْهُ وَبِمَا كَانُوْا يَكْذِبُوْنَ ﴿٧٧﴾ (١)

ذكر كثير من المفسرين أن ثعلبة بن حاطب أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله ادع الله أن يرزقني مالاً، فقال: « ويحك يا ثعلبة، قليلٌ تؤدي شكره خيرٌ من كثير لا تطيقه » قال: ثم قال مرة أخرى: « أما ترضى أن تكون مثل نبي الله؟ فوالذي نفسي بيده، لو شئت أن تسير معي الجبال ذهباً وفضة لسارت » فقال: والذي بعثك بالحق، لئن دعوت الله أن يرزقني مالاً لأعطين كل ذي حق حقه، فقال رسول الله ﷺ: « اللهم ارزق ثعلبة مالاً » فاتخذ غنماً، فتمت، فضاقت عليه المدينة، فتنحى عنها، ونزل وادياً من أوديتها، حتى جعل يصلي الظهر والعصر في جماعة ويترك ما سواهما. ثم تمت حتى ترك الصلوات إلا الجمعة، ثم تمت، فترك الجمعة، فسأل عنه رسول الله ﷺ فأخبر خبره، فقال: « يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة، يا ويح ثعلبة » فبعث رسول الله ﷺ رجلين على الصدقة، وكسب لهما كتاباً يأخذان الصدقة وقال: « مرّاً بثعلبة، وبفلان، ورجل من بني سليم » فخرجا حتى أتيا ثعلبة فسألاه الصدقة وأقرأه كتاب رسول الله ﷺ، فقال: ما هذه إلا جزية، ما هذه إلا أخت الجزية، ما أدري ما هذا، انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إليّ، فانطلقا، وسمع بها السلمي فاستقبلهما بخيار ماله، فقالا: لا يجب هذا عليك، فقال: خذاه؛ فإن نفسي بذلك طيبة، فأخذنا منه، فلما فرغا من صدقاتهما مرّاً بثعلبة، فقال: أروني كتابكما فقال: ما هذه إلا أخت الجزية، انطلقا حتى أرى رأيي.

فانطلق، فأخبر رسول الله ﷺ بما كان فترلت: ﴿ وَمِنْهُمْ مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنِ آتَيْنَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا آتَتْهُمْ مِنْ

(١) التوبة: ٧٥ - ٧٧.

فَضَلِيهِمْ يَخْلُؤْا بِهِمْ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٨﴾ ﴿١﴾

وكان عند رسول الله رجل من أقارب ثعلبة، فسمع بذلك، فخرج حتى أتاه فقال: ويحك يا ثعلبة، قد أنزل الله فيك كذا، وكذا، فخرج ثعلبة حتى أتى النبي ﷺ وسأله أن يقبل منه صدقته، فقال: « إن الله قد منعني أن أقبل منك صدقتك » فجعل يحثو التراب على رأسه، فقال له ﷺ: « هذا عملك قد أمرتكم فلم تطعني » وقبض رسول الله ولم يقبل منه شيئاً، ورفض أبو بكر قبولها، كما رفض عمر من بعده، وكذلك عثمان، وهلك ثعلبة في خلافة عثمان ؓ.

### أيها القارئ الكريم:

إن الوفاء بعهد الله سمة المؤمنين بالله الواثقين فيما عنده، أما الغدر فشيمة أهل الكفر والنفاق.

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مِرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٨٠﴾ فَإِذَا تَثَقَفْتُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِدْ بِهَمٍّ مِّنْ خَلْفِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَدْكُرُونَ ﴿٨١﴾ ﴾ ﴿٢﴾

﴿ أَوْكَلَمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ ۗ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ ﴿٣﴾

(١) التوبة : ٧٥ - ٧٧.

(٢) الأنفال : ٥٥ - ٥٧.

(٣) البقرة : ١٠٠.

﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمَسِيئَتِهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ (١)

قد تبين لك أن الوفاء سمة المؤمنين بالله الواثقين فيما عنده، وأن الغدر ونقض العهد من شيمة أهل الكفر والنفاق.

وفي موقفين متقابلين ترى المنافقين في غزوة الخندق ﴿ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا

اللَّهُ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْتُونَ الْأَدْبَرَ ۗ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ (٢)

تراهم - إذا بدرت المنفعة، أو ظهر الحظ - ينقضون عهدهم ويعلنون كفرهم

﴿ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ

إِلَّا غُرُورًا ﴾ (٣) وَإِذْ قَالَتْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا

وَسْتَئْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ

يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾ (٤) وَلَوْ دَخَلْتَ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سَأَلُوا الْفِتْنَةَ

لَأَتَوْهَا وَمَا تَلْبَثُوا فِيهَا إِلَّا يَوْمًا ۗ ﴾ (٥) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا

يُؤْتُونَ الْأَدْبَرَ ۗ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴾ (٦) قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ

فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ (٧) قُلْ مَنْ ذَا

الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۗ وَلَا يَجِدُونَ

هُم مِّنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ (٨)

(١) الفتح : من الآية ١٠ .

(٢) الأحزاب : ١٥ .

(٣) الأحزاب : ١٢-١٧ .

أما المؤمنون فإنهم أوفياء بعهد الله صادقون، لا يصرفهم عن الصدق خطرٌ أو طمع.. إنهم موفون بعهدهم إذا عاهدوا، صابرون في البأساء، والضراء، وحين البأس، ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ۗ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لَيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبُ الْمُنْفِقِينَ - إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٢٤﴾﴾<sup>(١)</sup>

ومن صفات المؤمنين في سورة المؤمنون: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾﴾<sup>(٢)</sup>، وجزاؤهم: ﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٢﴾﴾<sup>(٣)</sup>

وفي سورة المعارج يذكرهم الله ويذكر جزاؤهم: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنَتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿٣٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ قَائِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾﴾<sup>(٤)</sup>

أخي القارئ الكريم:

أرأيت مكانة الوفاء بالعهد؟

(١) الأحزاب : ٢٢-٢٤.

(٢) المؤمنون : ٨.

(٣) المؤمنون : ١١، ١٠.

(٤) المعارج : ٣٢-٣٥.

## كان خلقه القرآن

تعال بنا لنرى موقف الرسول ﷺ من أعدائه في ساعة من أخرج الساعات وأشققها على نفوس المؤمنين ومنه نتبين لماذا انتصرت هذه الأمة وعلا شأنها. وما كان لها أن تنتصر إلا بأسباب الحق، والصدق، وما كان لها أن تسود إلا بفضلها.

(( وما لم تنتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا ))، (( إنك لن تنصر الله في معركة حتى تنصره في نفسك ، بتغليب أمره على هواك ))

في الحديبية أبا المشركون أن يدخل المسلمون مكة مع أنهم جاءوا مع نبيهم ﷺ يريدون زيارة البيت ولا يريدون قتالاً، ومع تأكدهم من ذلك أخذتهم الحمية وأرسلوا سهيل بن عمرو وقالوا له: ائت محمداً فصالحه ، ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا. فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً.

فأتى سهيل رسول الله ﷺ فلما رآه الرسول ﷺ مقبلاً: قال: « أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل » فلما انتهى سهيل إلى رسول الله ﷺ تكلم فأطال الكلام، وتراجعا. ثم جرى بينهما الصلح.

فبينما رسول الله ﷺ يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو، إذ جاء أبو جندل ابن سهيل بن عمرو يرأسف في الحديد، قد انفلت إلى رسول الله ﷺ، وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكون في الفتح؛ لرؤيا رآها رسول الله ﷺ فلما رأوا من الصلح والرجوع وما تحمّل عليه رسول الله ﷺ في نفسه، دخل على الناس من ذلك أمر عظيم، حتى كادوا يهلكون.

فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه، وأخذ بتلابيه، ثم قال: يا محمد قد لجأت القضية بيني وبينك قبل أن يأتيك هذا - أي تمت ..

قال الرسول ﷺ: « صدقت » وكان من شروط الصلح الذي لم ينفذ مَجْلِسُهُ بعد - من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم - وَمَنْ جَاء قريشاً مِّنْ مع محمد لم يردّوه..

فجعل سهيل يجذب ابنه أبا جندل ويجرّه ليردّه إلى قريش.

وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته: يا معشر المسلمين أأرّدُ إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم.

فقال الرسول ﷺ: « يا أبا جندل، اصبر واحتسب، فإن الله جاعلٌ لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك، وأعطونا عهد الله، وإنا لا نعدّركم ».

بل جاء أبو بصير إلى المدينة وكان مَن حُبس في مكة وأرسلت قريش في طلبه، فقال رسول الله ﷺ: « يا أبا بصير. إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك ».

قال: يا رسول الله أتردني إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ قال: « يا أبا بصير، انطلق، فإن الله تعالى سيجعل لك ولن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً »



### أخي القارئ الكريم:

تلك بعض مواقف النبي ﷺ وذاك خلقه: فماذا كانت ثمرة هذا الخلق وما نتيجته؟ وهل ضيّع الوفاء صاحبه؟ لا وربك، إن عهد الله للذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق أن ينصرهم وأن يؤتيهم أجراً عظيماً ﴿ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ ﴾ (١).

(١) التوبة: من الآية ١١١.

ونرقب آثار الوفاء ونرى نتائجه ونأخذ العظة والعبرة ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾ (١)

• نتائج الوفاء بالعهد:

إن الوفاء بالعهد دليل الثقة في الله أولاً، ومن هذه الثقة تكون النفس قادرة بعون الله - على تأديب أهل الغدر والبغي إن هم نقضوا عهدهم وأخلفوا وعدهم.

لقد رأيت كيف كان الوفاء بالعهد خلقاً لرسول الله ﷺ، رأيت وهو يقول لأبي جندل وقد جاء فاراً بدينه من فتنه قريش - ومجلسُ التفاوض لم ينفذ بعد - « يا أبا جندل اصبر واحتسب، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وأعطيناهم على ذلك وأعطينا عهد الله وإنا لا نغدرُ بهم ».

كما رأيناه يقول لأبي بصير الذي أوى إلى المدينة فاراً بدينه من أذى قريش - يقول له: « يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح لنا في ديننا العذر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، فانطلق إلى قومك ».

هذا وفاء رسول الله ﷺ فيما عاهد عليه.. فماذا كان موقف الكفار من العقد والعهد؟

إنه الغدر ونقض العهد.

لكن أهل الوفاء - بحمد الله - دائماً أقوياء بإيمانهم الذي يفرض عليهم اليقظة وإعداد القوة وردع البغي والغدر.

(١) النور : من الآية ٤٠ .

كان أمر الحديبية والصلح في آخر سنة ست من الهجرة. وكان الصلح على وضع الحرب عن الناس عشرَ يأمن فيهنَّ الناسُ ويكف بعضهم عن بعض، وكان من شروط الصلح: من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه.

فتواثبت خزاعة فقالت: نحن في عقد محمد وعهده، وتواثبت بنو بكر، فقالوا: نحن في عقد قريش وعهدهم. ولم يمض على الصلح عامان حتى نقضت قريش ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من العهد بما أصابت واستحلت من دم خزاعة حليفة رسول الله ﷺ.

وجاء عمرو بن سالم الخزاعي ليصف أمر الغدر لرسول الله ﷺ ويقول فيما قال:

ونقضوا ميثاقك الموكداً      وجعلوا لي في كداء رصداً  
وزعموا أن لست أذعو أحداً      وهم أذل وأقل عدداً  
هم يبتون بالوتير هجداً      وقتلونا ركاماً وسجداً  
فانصر هداك الله نصراً أيّداً

فقال رسول الله ﷺ: «نصرت يا عمرو بن سالم».

أيها القارئ الكريم:

حسبي أن أف بكَ عند النتائج نتائج الوفاء بالعهد وأنت تراها نصراً عزيزاً وفوزاً عظيماً لأهل الوفاء.

وفي فتح مكة يمكنك أن ترى الفارق بين المسلمين وقد دخلوا مكة أعزاء كرماء وبين الكفار الذين رأوا بأعينهم أهل الوفاء وقوتهم، فلم يكن أمامهم إلا الخضوع لسلطان الحق والاستجابة لندائه.

قلت: إن أهل الوفاء أقوياء بإيمانهم، فهم لا يوفون بالعهد ضعفاً أو مراوغة. وإنما يوفون بالعهد استجابة لأمر الله وابتغاء مرضات الله. ولذا فإنهم لا يفرطون في إعداد القوة التي أمر الله بها، ولا يغفلون عن أسلحتهم ويتركون للعدو فرصة التربص والميل عليهم.

إن وفاء القوى خُلِقَ ينبع من الثقة في الله والخضوع لأمره ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴾<sup>(١)</sup>

ولكن ماذا يفعل المؤمنون مع الذين ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون؟

إنهم مطالبون بإقامة العبرة فيهم. مطالبون بتدمير شرهم وكسر شوكتهم حتى يستقيم سلوكهم ويسلم الناس من شرهم.

﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> الَّذِينَ عَاهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٢٠٦﴾ فَإِمَّا تَثَقَّفَتْهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿٢٠٧﴾<sup>(١)</sup>

إن أهل الباطل ما لم تردعهم قوة الحق أضلوا وأفسدوا ﴿ لَا يَرْجُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ

(١) النحل : ٩١ .

(٢) الأنفال : الآية ٥٥ - ٥٧ .

وَأَتَوْا الزَّكَاةَ فَاجْحَوْنَكُمْ فِي الدِّينِ ۗ وَتُفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ وَإِنْ  
 نَكُنُوا أَيْمَنَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ  
 إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ ﴿١١﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكُنُوا أَيْمَنَهُمْ  
 وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرُّسُولِ وَهُمْ بَدَأُوكُمْ أَوْلَىٰ مَرَّةً أَخَشَوْهُمْ ۗ فَاَللَّهُ أَهَقُّ أَنْ  
 تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٢﴾ قَتَلُوهُمْ يُعَذِّبَهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْزِيهِمْ  
 وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ وَيُذْهِبَ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ  
 وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴿١﴾

إن خلق الرِّفَاءِ بالعهد في القرآن يرتبط - كغيره - بالأصل الثابت « الإيمان بالله واليوم الآخر » ولذا تكون فيه ثماره ونتائجه، إنه فرع من الشجرة الطيبة ذات الأصل الثابت. وهذا هو الفارق بين الأخلاق التي ينشدها القرآن وبين الأخلاق في مذاهب أهل المنفعة حيث كانوا.

إن أخلاق هذا الدين مستمدة من عقيدته، وعقيدته - كما نعلم - فيها من العمق والثبات والرسوخ ما يعطي الأخلاق نفسها روح الثبات والقوة والشمول. واتصال الأخلاق بالعقيدة يمنحها روح التجرد من المنافع، والتخلص من الرياء الكاذب، فلا ينهى الإنسان عن خلق ويأتي مثله، كما أنه لا يتخذ من دعوى الأخلاق سبيلاً للكسب الرخيص واستغلال البسطاء والسذج. وإنما تقوم الأخلاق في نفسه قيام المجاهد في ميدان الشرف والبرسالة يدافع عن غاية ويرفع سيفه ويخفضه استجابة لمبدأ، ويلقي بنفسه في أتون معركة يجود فيها بنفسه ليمنح الحياة من وراءه ظافراً بما عند الله.

(١) التوبة : الآية ١٠ - ١٥ .

﴿ أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٦٦﴾ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ﴿٦٧﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِمْ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٦٩﴾ ۝ ﴿١﴾

اللهم اجعلنا منهم (آمين)



## ما لم نتصر بفضلنا لم نغلب بقوتنا

مع رسول الله ﷺ في الطريق إلى بدر:

### • قبل بدء المعركة:

من المعلوم أن كل قائد ينشد النصر لا بُدَّ أن يستوثق من رجاله، وأن يعرف جُنده، وأن يكون قريباً من نفوسهم، وأن يكون الجنودُ مؤمنين بالغاية التي يُقاتلون من أجلها، ويموتون في سبيلها.

وقد كان سيّد الخلق ﷺ القدوة في ذلك كلّهُ. يشاور أصحابه، ويجالسهم، ويؤاكلهم، ويمشي في حوائجهم، ويقبل مشورتهم، ولذا كان حبُّ صحابته له موضع الأسوة والقدوة للمؤمنين جميعاً ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴾ (١)

وأود أن أقف عند بدر؛ لنراه ﷺ ومعه صحابته وهو يشاورهم ويُخبرهم أن قريش قد خرجت لتمنع عيرها.

ومن إجابة الصحابة ﷺ وحدثهم تدرك مدى ما صنع الإيمان في هذه النفوس حتى جعلها لا تخشى إلا ربّها ولا ترجو إلا خالقها.

(١) آل عمران : من الآية ١٥٩.

## كان خلقه القرآن

قام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه فقال وأحسن، ثم قام المقدادُ بن عمرو فقال: « يا رسول الله، امض لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ فَادْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴾ <sup>(١)</sup> ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون. فوالذي بعثك بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد، لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه»، فقال له رسول الله صلوات الله عليه خيراً ودعا له به.

لكن رسول الله صلوات الله عليه أراد أن يسمع من الأنصار وهم عددُ الناس، وهم الذين بايعوه بالعقبة على أن ينصروه إذا وصل إلى ديارهم، وقالوا في بيعتهم حين بايعوه: « يا رسول الله، إنا بُراء من ذمامك حتى تصل إلى ديارنا، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا، نمنعك مما نمنع منه أبناءنا ونساءنا » فكان رسول الله صلوات الله عليه يتخوف ألا تكون الأنصار ترى عليها نصره إلا ممن ذمه بالمدينة من عدوه. وأن ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو خارج المدينة.

فلما التفت الرسول إلى الأنصار وقال: « أشيروا عليّ »، قال سعدُ بن معاذ رضي الله عنه: والله لكأنتك تُريدنا يا رسول الله؟ قال: « أجل ». قال: « قد آمننا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهداً ومواثيقنا على السَّمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجلٌ واحد. وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، وإنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء. لعلَّ الله يُريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله ». »

(١) المائدة : من الآية ٢٤.

فَسُرَّ رسول الله ﷺ بقول سعد، ثم قال: « سيروا وأبشروا؛ فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين. والله لكأني الآن أنظرُ إلى مصارع القوم.»

### أخي القارئ الكريم:

تأمل قول الصحابي الجليل أمام رسول الله ﷺ، إنه حدّد الغاية «آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق» وهم على هذا الإيمان قد بايعوا رسول الله ﷺ وأعطوا العهود والمواثيق على السَّمْع والطاعة. ولكن كم من ناس بايعوا ونقضوا عند الشدة!

إن الشدائد وحدها هي التي تكشف عناصر الرجال، والبلاء هو الذي يحدد حقيقتهم. لكننا هنا نرى الوفاء بالعهد والصدق عند اللقاء «فامض يا رسول الله لما أردت، فحن معك»، إن إيماننا بك وتصديقنا يُحتم علينا أن نُطيعك في كل ما تأمر. إنهم رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، إنهم في ساعة الشدة يكثرُونَ، يثبتون ولا يُؤلون الأديبار. «والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد». إنهم سيلقون عدواً كثير العدد والعدة، ولكنهم لا يكرهون اللقاء ما دام في طاعة الله ورسوله فإنما هي إحدى الحسينين، (وما نكره أن تلقى بنا عدونا غدا، وإننا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء).

لقد عبّر سعدٌ ﷺ عن حقيقة ما يحمله الأنصار من إيمان، وصدق، ووفاء، وطاعة لله ورسوله، ثم هو يرجو أن يُرى الله، نبيّه من صدقهم وثباتهم ما تقر به عينُ رسول الله ﷺ «لعلَّ الله يُريك منا ما تقر به عينك، فسِر بنا على بركة الله».

إن قائد هؤلاء لا بُدَّ أن يكون نبياً، وهذا النبي لا بُدَّ أن يكون محمداً ﷺ. ألم يقل المقداد من قبل: (والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿فَاذْهَبْ

أَنْتَ وَرَبُّكَ فَفَتِيلًا إِنَّا هَهُنَا قَاعِدُونَ ﴿١﴾

ولقد نصر الله هؤلاء في بدر؛ تحقيقاً لوعده ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ

وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢﴾

إن في ذلك لذكرى، والذكرى تنفع المؤمنين.

فهل نعي نحن المسلمين واجبنا نحو ديننا، ونعرف الطريق للتأييد والنصر.

ما لم نتصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا، وما لم نُخلص لرسالتنا فلن يهابنا عدوُّنا،

وما لم نجتمع على عقيدتنا فلن نكون أهلاً لتأييد ربِّنا ونصُر خالقنا ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ

يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٣﴾، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا

وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٤﴾



### مع رسول الله ﷺ في ميدان بدر:

توَدُّ أَنْ نَقِفَ فِتْرَةً فِي مَيْدَانِ بَدْرٍ؛ لِنَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ صَحَابَتِهِ ضَارِعاً إِلَى

اللَّهِ مُتَوَجِّهاً إِلَيْهِ، وَنَرَى صَحَابَتَهُ - رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - وَهُمْ يُطِيعُونَ أَمْرَهُ، وَيَحْرِصُونَ

عَلَيْهِ أَشَدَّ مِنْ حِرْصِهِمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. لَا تَكَادُ الْكَلِمَةُ تَخْرُجُ مِنْ فَمِهِ الصَّادِقِ الطَّهْرِيِّ،

حَتَّى تَرَى نَفَاذَهَا فِي أَعْمَالِهِمْ وَسُلُوكِهِمْ.

(١) المائدة : من الآية ٢٤

(٢) آل عمران : ١٢٣.

(٣) محمد : ٧.

(٤) العنكبوت : ٦٩.

فهذا عُمَيْرُ بْنُ الْحَمَامِ، أخو بني سلمة يسمع الرسول ﷺ يقول: « والذي نفسي محمد بيده، لا يقاتلهم اليوم رجلٌ فيقتلُ صابراً مُحْتَسِباً، مُقْبِلاً غيرَ مدبرٍ. إلا أدخله الله الجنة »، فقال عُمَيْرُ - وفي يده تمرات يأكلهن - : بَخِ بَخِ. أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء؟!، ثم قذف التمرات، وأخذ سيفه، فقاتل حتى قُتل.

وهذا عَوْفُ بْنُ الْحَارِسِ - وهو ابن عفراء - قال: يا رسول الله، ما يُضْحِكُ الرَّبَّ مِنْ عَبْدِهِ - أي: ما يرضيه غاية الرضا - قال ﷺ: « غَمَسُهُ يَدَهُ فِي الْعَدُوِّ حَاسِراً »، فترع عَوْفٌ دِرْعاً كانت عليه فَقَذَفَهَا، ثم أخذ سيفه فقاتل القوم حتى قُتل.

الله أكبر. يسأل عوف في الميدان عمّا يرضي ربّه، وعندما يسمع من رسول الله ﷺ ما يرضي الله غاية الرضا، يتخفف من درعه، ويعزّم عَزْمَتَهُ، ويأخذ سيفه، ويمضي لمجاهة العدو، ويقاوم القوم حتى يُقْتَل. ولا يتوان لحظة واحدة في تحقيق ما يحبُّ الله ورسوله ويرضى.

تعال معي نَحُوبُ أرض المعركة، لنرى موقفاً آخر، نرى فيه الحبَّ الصادق لرسول الله ﷺ. بل لنرى الحرص على رفعة هذا الدين وافتدائه بكل مُرْتَضٍ وغال.

هذا سعدُ بْنُ مُعَاذٍ يَقُولُ: (( يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلَا نَبِيُّ لَكَ عَرِيشاً تَكُونُ فِيهِ، وَنَعْدُ عِنْدَكَ رِكَائِبَكَ، ثُمَّ تَلْقَى عَدُوَّنَا، فَإِنْ أَعَزَّنَا اللَّهُ وَأَظْهَرَنَا عَلَى عَدُوَّنَا كَانَ ذَلِكَ مَا أَحْبَبْنَا، وَإِنْ كَانَتِ الْأُخْرَى جَلَسْتَ عَلَى رِكَائِبِكَ، فَلَحِقْتَ بِنِجْمٍ وَرَاءَنَا مِنْ قَوْمِنَا، فَقَدْ تَخَلَّفَ عَنكَ أَقْوَامٌ، يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا نَحْنُ بِأَشَدَّ لَكَ حُبّاً مِنْهُمْ، وَلَوْ ظَنُّوا أَنَّكَ تَلْقَى حَرْباً مَا تَخَلَّفُوا عَنكَ، يَمْنَعُكَ اللَّهُ بِهَمِّ، يَنَاصِحُونَكَ وَيُجَاهِدُونَ مَعَكَ )) فَأَتَى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَيْراً ودعا له بخير، ثم بُنِيَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَرِيشٌ، فَكَانَ فِيهِ.

### أخي القارئ الكريم:

هل يمكنك أن تتأمل هذا الموقف وأن ترى الدافع عند سعد بن معاذ وهو يحرص على رسول الله ﷺ هذا الحرص، حباً لله ورسوله، وشكراً لنعمة الله على هذا الدين الذي ينشدونه لأنفسهم في ميدان الجهاد؛ تضحيةً وشهادةً، ولمن وراءهم في المحافظة على رسول الله من المخاطر.

وعندنا نتأمل الكلمات التي نطق بها سعد تُدرك مدى ما فعلته تربية رسول الله ﷺ في هذه النفوس، وما حققه الإيمان من إدراك وحياء.

جزاك الله خيراً يا سعد أنت وإخوانك من الصحابة المطهرين. لا تَخَفْ على رسول الله ﷺ إنَّه في العرش الذي أشرتَ به يتضرع إلى الله إخلاصاً في العبودية له. مع أنَّه وُعد بالنصر.

وفي الميدان لا ترى أحداً أقربَ إلى العدو منه. عن عليٍّ عليه السلام قال: «إنا كنا إذا حمى البأس واشتدَّ، واحمرت الحُدُق اتقينا برسول الله ﷺ، فما يكون أحدٌ أقربَ إلى العدو منه، ولقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشدَّ الناس بأساً»<sup>(١)</sup>

### أخي القارئ:

لا يَفُوتُكَ هذا المشهد وأنت تجوب أرض المعركة لتشاهد أروع ما عرف التاريخ من حبٍ وتضحية وفداء.

الرسول ﷺ يسوي صفوف أصحابه يوم بدر، وسوادُ بن غزيرة - حليفُ بني عدي بن النجار - متقدم في الصف ليس مستوياً معه. والرسول ﷺ يمرُّ فَيُراه على هذا الحال، فيقطعنه في بطنه بالسَّهم ويقول: «استويَا سواد» فيدبِّر سوادُ لنفسه أمراً

(١) رواه أحمد والنسائي.

عَجَبًا، يقول: يا رسول الله، أوجعتني، وقد بعثك الله بالحق والعدل، فأقذني منك - أي: اقتصر لي من نفسك - فكشف رسول الله ﷺ عن بطنه وقال: « استَقْدُ »، ها هو ذا سواد ينفذ ما دبر في نفسه، ها هو ذا يعتنق رسول الله ﷺ ويَقْبَلُ بطنه. فيقول له الرسول ﷺ: « ما حملك على هذا يا سَوَادِ »، فيقول: يا رسول الله، حَضَرَ ما تَرَى، فَأَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ آخِرُ الْعَهْدِ بِكَ أَنْ يَمْسَ جِلْدِي جِلْدَكَ. فدعا له رسول الله ﷺ بخير.

الله أكبر. أرأيت - أخي القارئ - كيف كان حبُّ مَنْ كان خُلُقُهُ الْقُرْآنَ ﷺ وكيف يكون التعبير عن الحب في مواطن البأس والشدة، حيث تُبَدَّلُ النفوس وتُتَقَدَّمُ الأرواح راضيةً مطمئنة.

أي شيء سيطر عليها فأخضعها للحق وطوعها للصدق!  
إنه القرآن وتخلق من تخلق بالقرآن.

إنهم يعلنون الرضا عن ربهم والرضا عن نبيهم والسيوف مُصَلَّتَةٌ عليهم. وكم منهم مَنْ غَدَرَ به أعداء الله وهو يعلن فوزه ورضاه « فَرَتْ وَرَبَّ الْكَعْبَةِ ». « اللهم بلغ عنا نبينا أنا قد لقيناك فرضينا عنك ورضيت عنا ».

أي شيء سيطر على هذه النفوس فجعلها تخرج من حظ نفسها إلى مرضاة ربها، وتجعل هواها تبعاً لما جاء به الصادق الأمين ﷺ !!

ما أعجب الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب، وما أعظم اليقين حين يسيطر على النفوس ﴿ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلُهُمْ ﴾ (١) سَيِّدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَهْمِهِمْ ﴿ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ ﴾ (١)

اللهم ارزقنا صادق الإخلاص لك، وحسن التوجه إليك. (أمين).



(١) محمد: من الآية ٤، والآيتان ٥، ٦.